تدنى اللغة العربية على ألسنة أبنائها

تدنى اللغة العربية على ألسنة أبنائها

أ. سعيد الصاوى

لوحظ منذ فترة تدنى اللغة العربية على ألسنة المصريين، وفى نصوصهم المكتوبة، ووصل هذا التدنى إلى خريجى الجامعات، مما سبب انتشارًا لهذه الظاهرة، وذلك بسبب أن هؤلاء الخريجين شغلوا وظائف فى كل مؤسسات الدولة، ولأن مفتاح الهوية لكل أمة هو اللغة، فمن المهم جدًا أن نلتفت إلى هذه المشكلة حتى لا نذوب بين الأمم.

مظاهر المشكلة

١. لقد أصبحنا نرى مقالات كاملة ببعض الجرائد والمجلات الكبرى، مكتوبة باللغة الدارجة، وأحيانًا كثيرة تنحدر هذه اللغة إلى مستوى لغة السوقة.

٢. أما فى المقالات التى كتبت بالفصحى، فنجد الخلط القاتل بين الهاء والتاء المربوطة، للدرجة التى تكرر فيها كتابة لفظ الجلالة بالتاء المربوطة "اللة"، وكذلك كتابة نفس اللفظ تبعًا للنطق اللفظى فيضيف واوًا إليه، بدلاً من الضمة "اللهو"، ولا أنسى أننى قرأت قصيدة "حانت الأقدار" مكتوبة على شاشة إحدى القنوات الأرضية، بالتاء المربوطة "حانة الأقدار"، أضف إلى ذلك الخلط خلطًا آخر بين الهمزات، وصلها وقطعها، ما هو فوق الألف وما هو تحته، مثل "أعلانات، إحتفال وأحتفال رغم أنها همزة وصل، ولا يجب كتابتها من الأصل".

٣. اختلطت لغة الحديث اليومى بكثير من الألفاظ الأجنبية التى من كثرة استخدامها أصبح من يتكلم بها لا يعرف أنها أجنبية، بل يظن كل الظن أنها عربية، بل لا يعرف أن بلغته لفظًا

يعادل هذا اللفظ.

٤. أغلب المصريين لا يختارون اللغة العربية من بين لغات تشغيل هواتفهم المحمولة، لدرجة أن بعضهم إذا رأى أحدًا ممن يستخدم اللغة العربية لتشغيل هاتفه استنكر عليه هذا الأمر بشدة، وقد سمعت الفنانة "فردوس عبدالحميد" وكانت ضيفة لبرنامج الخط الساخن بقناة النيل الثقافية، سمعتها تقول إن أحد أقاربها الشباب رأى أن هاتفها المحمول قد تم ضبطه باللغة العربية، فاستنكر عليها ذلك قائلاً لها بالحرف الواحد : "إيه دا يا تانت إنت عايزة تفضحينا، عاملة الموبايل بالعربى"، وهو قول يظهر لنا بوضوح علاقة المصريين المعاصرين بلغتنا العربية، وأقول لغتنا، لأنه من الواضح أنها لم تعد لغتهم، وكما هو واضح من الشواهد سابقة الذكر أن مشاعرهم نحوها أصبحت كرهًا واحتقارًا.

٥. فيما يسمى بخدمة الرسائل القصيرة بالهاتف المحمول، أو فى مواقع الدردشة بالشبكة الدولية نجد أن غالبية المستخدمين من الشباب يستخدمون الحروف اللاتينية فى كتابة الكلمات العربية، وإذا طلبت منه الكتابة بالحروف العربية اعتذر قائلاً إنه غير ماهر فى استخدام الحروف العربية على لوحة المفاتيح.

٦. وعلى نفس النهج السابق نجد أن الأغانى المصورة، والتى تعرض على قنواتنا الأرضية والفضائية، نجد أن أسماء هذه الأغانى وأسماء المغنيين - ولا أقول المطربين، فهم أبعد ما يكونون عن الطرب - فقد كتبت بالحروف اللاتينية، وهو أمر يدعو للعجب والتساؤل، فهل نحن كعرب سوف نقرأ ما هو مكتوب باللاتينية؟، وهل "الخواجة" إذا ما قرأ ما هو مكتوب باللاتينية، هل سيفهم ما يعنيه عنوان الأغنية؟، الإجابة على السؤالين ستكون بالنفى دون تردد، فلماذا إذن هذا العبث؟، أم أن المقصود من هذا الإلحاح هو تعويد العين على هذا الحرف مما يلجئنا فى النهاية إلى إحلاله محل حروفنا، بعد أن غابت تمامًا من أمام أعيننا؟، سؤال ليس بريئًا بالطبع.

٧. المتامل فى أسماء المنتجات الغذائية الخاصة بالأطفال يجد أن أسماء الجزء الأكبر منها هى أسماء أجنبية، وإن كات بعضها قد كتب بالحروف العربية. ولأن هذه المنتجات كثيرة، ولأننى لست من الفئة المستهلكة لها، فلقد قمت بما استطعت من جهد لحصر أسماء بعض هذه المنتجات، فتوصلت إلى الأسماء التالية، التى أعلم تمام العلم أنها ليست الوحيدة، وهذه الأسماء هى : "توينكز، وهوهوز، وررولز، ومولتو، وباستو، ودادى، وبوريو، وسامبا، وفلوت، وكروكيه، ومورو، وروتاتو، ورنج، وتايجر، وكونو، وماندولين، ولوكس، وويفر سوبر دندشة، وداتو، وشاتو، ولامبادا، ودرو، ولودو، وجيلى كولا، وأولكر، وفوندو، وويفى، وكرانشى، ولايون، وإكستريم لايون، ومافى، وزيجو، ووندوز، وبوبوس، وهى أسماء - كما هو واضح للجميع- أجنبية مائة بالمائة، فى مقابل بعض الأسماء القليلة العربية مثل كشكش، وفرقع لوز، وكل هذه الأسماء إما مكتوبة بالحروف اللاتينية فقط، أو مكتوبة باللغتين العربية واللاتينية، ولكن الاسم اللاتينى مكتوب بحجم أكبر، أما الاسم العربى أو الاسم الأجنبى المكتوب بحروف عربية، فهو

مكتوب بحجم صغير حتى لا تلتفت الأنظار إليه، ويكون اللافت للنظر هو الاسم اللاتينى، مما يدل على عدم احترام اللغة العربية، بل يدل على خطة ممنهجة لإبعاد العين والأذن عن حرفنا العربى كتابةً ونطقًا، توطئة لإبداله بالحرف اللاتينى.

٨. أصبح من المعتاد أن يستعمل مذيعو الإذاعة والتليفزيون جملاً كاملة باللغة الإنجليزية دون أى حرج، وذلك لعدم اهتمام القيادات الإعلامية بتوجيه المذيعين الجدد إلى ضرورة إدارة حواراتهم باللغة العربية الفصحى، أو بالدارجة الراقية، على عكس ما كان ساريًا فى عهود سابقة، حيث كان المذيع يُحاسب حسابًا عسيرًا إذا نطق لفظًا أجنبيًا، أو إذا لم يقم بترجمة الكلمات الأجنبية التى قالها الضيف، أضف إلى ذلك أن التليفزيون المصرى يقوم بعرض مسلسلات الرسوم المتحركة العالمية الشهيرة بأصوات لممثلين مصريين يتكلمون بالعامية المصرية، ولكن بطريقة أقرب إلى لغة الشوارع، رغم أن هذه المسلسلات جميعًا، قد تم عرضها فى بلاد الخليج باللغة العربية الفصحى الراقية، فلماذا لم يتم استيراد هذه المسلسلات بهذه التراكيب الصوتية التى تراعى جماليات لغتنا العربية الجميلة، طالما ليس فى استطاعتنا أن نقوم بالمثل.

٩. إذا تجولنا فى شوارع أى مدينة مصرية فسوف نرى أسماء أجنبية تعلو لافتات أكثر الحوانيت، بعضها مكتوب باللاتينية فقط، والبعض الآخر يحمل ترجمة عربية، ولكن بحروف أقل حجمًا من مرادفها الأجنبى، وكذلك نجد الحافلات الخاصة بشركات السياحة تنهج نفس النهج السابق، فلا نكاد نجزم أننا نسير فى أحد شوارع مدننا المصرية.

الأسباب:

١. انهيار المنظومة التعليمية.
٢. عدم حرص المنظومة الإعلامية على صحيح اللغة.
٣. عدم حرص المحليات على تنفيذ قانون تحريم كتابة اللافتات بغير اللغة العربية.
٤. حرص أولياء الأمور على تعليم أبنائهم تعليمًا أجنبيًا، اعتقادًا منهم بزيادة فرص العمل لحملة شهادات هذا النوع من التعليم.
٥. ابتعاد الجيل الجديد عن قراءة الكتب، وعدم اهتمام المدرسة بحصة القراءة، أو ما كان يسمى بـ "المطالعة"، بما يربى فى وجدانهم منذ الصغر ذائقة لغوية، وشغفًا بجماليات اللغة، تجعله مستمتعًا بما يقرأ، باحثًا دائمًا عن الجديد.

النتيجة

ظهور أجيال تتباهى بإجادتها للغات الأجنبية، ولا تخجل فى نفس الوقت من جهلها بلغتها الأم، لدرجة انتشار لفظى "Master وMiss" لمناداة المدرسين فى المدارس، حتى الحكومية منها، وأصبحت تلك قاعدة لا استثناء لها، حتى وصل الأمر إلى مناداة مدرسى اللغة العربية

والدين بنفس اللفظ، مع عدم اعتراض المنادى على هذا اللفظ، بل ربما جاء اعتراضه لو ناداه بلفظ "أستاذ"، التى أصبحت عربية، رغم أنها ليست كذلك.

الحل:

١. بالنسبة للمنظومة التعليمية فهى تحتاج عمومًا إلى إعادة نظر، ولكنى هنا سأتكلم فقط على طريقة تعليم اللغة العربية، ففى نظرى هى طريقة منفرة، ولا تؤدى إلا إلى الكره والنفور، وأنا أقترح أن يتم التدريس بطريقة غير تقليدية، مثل أن تقوم الجهة المعنية بالمناهج بتحديد ما يجب دراسته فى الصف الدراسى، مقسمًا على شهور السنة، دون وضع كتاب يحتوى نصوصًا شعرية ونثرية بعينها، يُجبر التلميذ على دراستها، ويُترك لكل مدرس إدارة الحصة بحرية تامة، وصولاً بها إلى استيعاب منهج الحصة، مثل أن يسأل التلاميذ عما يحفظوه من قصائد، وبالطبع ستدور إجابتهم حول قصائد نزار قبانى التى يغنيها كاظم الساهر، وماجدة الرومى، ولتكن هذه نقطة انطلاق نحو ما يجب دراسته فى الحصة، بعد أن يتأكد المدرس من حفظهم الجيد للقصيدة، وضبطهم الصحيح للكلمات عن طريق الغناء، ويفضل لو كان جماعيًا، وبعد الغناء المضبوط، يبدأ المدرس فى حوار حول أسباب ضبط الكلمات بهذه الطريقة، فمثلاً البيت الذى يقول :

"يسمعنى حين يراقصنى   كلماتٍ ليست كالكلمات"

ويكون السؤال هنا، لماذا تم نصب كلمة "كلمات" بالكسرة، وعن طريق الحوار المفتوح يصل التلاميذ إلى قاعدة ضبط الكلمة بعد معرفة موقعها الإعرابى، فـ "كلمات" مفعول به، ثم يتم التوصل إلى أن أداة نصب المفعول به المفرد هى الفتحة، وأداة نصب المثنى وجمع المذكر هى الياء، أما جمع المؤنث السالم فيُنصب ويُجر بالكسرة. وهكذا تمضى حصص اللغة العربية ما بين المتعة والفائدة، حتى يفهم التلاميذ كل القواعد المقررة عليهم، وذلك حسب التدريج المحدد فى المنهج.

٢. أما بالنسبة للمنظومة الإعلامية فيجب :

- الحرص على استخدام لغة عربية سليمة.
- البعد كل البعد عن خلط اللغة العربية بكلمات أجنبية، طالما وُجد ما يعادلها فى العربية.
- الحرص على ترجمة الكلمات الأجنبية التى ترد خلال أحاديث الضيوف، وعدم تخطيها واعتبارها كأنها شىء عادى، وكأن كل المستمعين يجب أن يكونوا على معرفة بهذه اللغات، وبالتالى فلا حاجة لترجمنها لهم.
- الحرص على تقديم برامج الأطفال وأفلام الرسوم المتحركة بالعربية الفصحى، عملاً بالمثل الذى يقول : "التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر".

٣. على المحليات أن تُفعل قانون تحريم كتابة اللافتات بلغات أجنبية، مع رفع غرامة

المخالفة، حيث إن القانون قديم جدًا، ومن المؤكد أنه لا يتناسب مع دخول هذه الأيام، وقيمة الجنيه المصرى.

٤. على مجلس الشعب أن يغلظ عقوبة المخالفين، وأن يعتبرها قضية أمن قومى، وما هو الأمن القومى، إن لم يكن تهديد الهوية؟.

٥. الاتجاه الجاد نحو تعريب التعليم الجامعى، ولنا مثال فى دول كثيرة لا تدرس المواد الجامعية، العملية منها والنظرية، إلا بلغتها، مثل إسرائيل، وألمانيا، واليابان، وسوريا، وفرنسا، والصين،... إلخ.

وختامًا.. أرجو أن أرى - قبل نهاية العمر- لغتنا وقد ازدانت بها شفاه أبنائنا، وطربت لهم آذانهم، ولقيت ما يجب أن تلاقيه على يد أبنائها من عناية وحرص، مع الحرص على تعلم لغة أجنبية أو أكثر، تمكننا من التواصل مع الآخر، والاطلاع على كل جديد، دون أن تطغى هذه اللغات على عربيتنا وعروبتنا.